الحرية والعيش معا عند حنة أرندت

فوزية بحوش: طالبة دكتوراه جامعة الجزائر 2

إشراف: اد.مليكة بن دودة جامعة الجزائر 2

مخبر الجماليات والفنون والأكسيولوجيا

ملخّص:

يعدّ موضوع الحرية الأكثر تداولا على جميع الأصعدة سواء الاجتماعية أو السياسية وحتى الشخصية، لكنّه بالنسبة لحنة أرندت أكثر من مجرّد حرية الإرادة، أو حرية التفكير، أو تحرّر من الطغيان والاستبداد، تتجاوز أرندت في طرحها لماهية الحرية معظم التصوّرات الفلسفية، لتأخذ الحرية بالنسبة لها مفهوما سياسيا بحتا، فهي إنتاج بشري خاصّ لا يكون إلاّ تحت ظروف معينة، تتمثّل في تحرّر الوعي من الخوف والفقر، أي بمعنى من كلّ الضرورات التي تحفظ الحياة، تمنح الحرية للبشرية فرصة للالتقاء معا كنظراء متساوين في القدرة على الفعل والكلام، وفي نفس الوقت مختلفين في الرأي، هذا المجال البيْني بين البشر تسمّيه المجال العامّ، عماده الوعي والقدرة على المحاججة بدون عنف، وهو الذي يصنع الحرية، وعليه فإدراك مفهوم الحرية وممارستها هو السبيل الوحيد للعيش معا بالنسبة لأرندت.

الكلمات المفتاحية:

الحرية، المجال العام، الوعي، الكثرة والاختلاف، الفعل، العيش معا.

Abstract:

The issue of freedom is widely discussed at all levels even at the personnel level. for Hanna Arendt the issue of freedom is in circulation, for her, freedom exceeded will, thought, or freedom from tyranny , in her presentation, Freedom is all philosophical and political perceptions; for freedom to take a purely political concept , it is only under certain circumstances and this level of freedom is embodied in the liberation consciousness from both fear and poverty, in the sense of all the necessities that preserve life, it gives humanity a chance to meet Together, as equal counterparts in ability to act and speak, and at the same time being able to present differing opinions.This evident field between humans calls it a public domain, whose pillar is awareness and the ability to argue without violence, and it is what makes freedom possible, therefore, understanding the concept of freedom and practicing it is the only way to live together with Hannah Arendt.

Key words:

freedom, public domain, awareness, abundance and difference, action, coexistence

مقدّمة:

تُجمع جلّ النّصوص الفلسفية القديمة والحديثة، وحتّى نواميس الحضارات المختلفة، أنّ مصير الإنسان مرتبط بالتواجد مع الآخرين، بدء بأقدم النّصوص مع أفلاطون الذّي يقرّر في نصّيه الجمهورية والقوانين، أنّ الوجود حتّى قبل أن يكون كذلك، مرتبط بواقع السياسة، من خلال تأكيده على ضرورة تزويج الأصلح لفرد أرقى من أجل مواطنة أحسن. مرورا بأرسطو الذّي وضع مقولة "الإنسان حيوان سياسي"، في مقابل مقولة الإنسان حيوان ناطق، جامعا بذلك بين صفة الإنسانية، وفطرة الاجتماع البشري، في شكله السياسي. وصولا إلى النصوص الحديثة وأشهرها مؤلفات فلاسفة العقد الاجتماعي، في تأكيدهم على أنّ التجمع البشري يطلب الاجتماع السياسي، تتويجا لضرورات فطرية، وتحقيقا للحرية مهما اختلفت مسمياتها المفهومية.

ما يحملنا على طرح مشكلة الحرية ليس فقط ارتباطها بالوجود البشري، وإنّما استجابة للراهن السياسي وتطوّراته التّي لا تخلو من مظاهر عدّة، كالثورات، والانقلابات، والتّي أثبتت في كلّ مرّة أنّ مصير البشرية مرتبط بمصير السياسة كما تقول حنة أرندت.[1] ما يهمّنا في هذه التطوّرات أو غيرها هو الطّرح القويّ لقضية الحرية، في النقاشات السياسية باعتبارها مطلبا أساسيا لأيّ تغيير سياسي واجتماعي، أو ثورة، ما يجعل مفهوم الحرية أكثر المفاهيم إبهاما رغم التداول الكثيف، حتى وصل حدّ الغموض، لارتباطه بالوجود البشري سواء الفردي أو الجماعي، وارتباطه من جهة أخرى بالسياسة، ولفكّ هذا الالتباس نحاول في هذه الورقة إثبات فرضية أنّ الحرية هي السبيل الوحيد للعيش معا، وذلك من خلال تبيان المفهوم الحقيقي لها، على ضوء أفكار المنظرة السياسية الألمانية حنّة أرندت، التي أعطت للحرية مفهوما مغايرا لما هو متداول في الفلسفات القديمة والحديثة، بإرجاعها إلى مجالها الأصلي. وعليه فالسؤال الرئيسي: كيف نجعل هذا الاجتماع ممكنا ونضمن العيش معا، في مجتمع سياسي واحد انسجاما مع طبيعتنا السياسية؟ تندرج تحتها أسئلة فرعية: ما هي الحرية عند أرندت؟ وكيف تتجسّد؟ وما وسائل ممارستها ومظاهرها؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية قسّمنا هذه الورقة إلى مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وكان تصميمها كالتالي:

1-مفهوم الحرية عند حنة أرندت. 2-مفهوم المجال العام. 3-الفعل والعيش معا.

[1] حنة أرندت، ما السياسة؟ ترجمة: زهير الخويلدي وسلمى حاج مبروك، منشورات الاختلاف وضفاف، ط1، الجزائر، بيروت، 2014

1-مفهوم الحرية عند حنة أرندت:

تجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم الحرية من الأسئلة الشائكة على حدّ تعبير أرندت نفسها: "يبدو طرح سؤال ما هي الحرية؟ مشروع ميئوس منه، كما لو أنّ تناقضات قديمة العهد، تتربص لإقحام العقل في معضلات الاستحالة المنطقية، لذلك اعتمادا على أيّ جانب المعضلة تتمسّك به، يصبح من المستحيل إدراك الحرية أو نقيضها، كاستحالة إدراك دائرة مربعة "[1]، ويتلخّص هذا التناقض في مفهوم الحرية بين الوعي والضمير الذّي يترتّب عنه المسؤولية على أفعالنا، ومن جهة أخرى خبرتنا اليومية مع العالم الخارجي التي تجبرنا على الخضوع لمبدأ السببية[2].

توضّح هذه النّصوص نقاطا مهمّة في سبيل الوصول إلى مفهوم الحرية، حيث يكمن الجزء الأصعب منها في التناقض الذّي يطرحه الحديث عن الحرية التّي تحصر في حرية الإرادة من عدمها ممّا يجعل من مهمّة تسليط الضوء على هكذا سؤال من الأمور المستعصية على العقل البشري، ولكن سرعان ما يختفي هذا التناقض حسب أرندت إذا نظرنا إلى الحرية في مجالات الفعل، حيث تقول في نصّ لها: "ففي جميع الأمور العملية، وخاصّة السياسية منها، نعتبر الحرية الإنسانية حقيقة بديهية، ووفقا لهذا الافتراض الأكسيومي سنّت القوانين في المجتمعات الإنسانية، واتخذت القرارات، وصدرت الأحكام".[3]

تنطلق حنة أرندت من افتراض بديهية فكرة الحرية في مجال الشؤون الإنسانية وهو الميدان السياسي، فإن كان لكلّ موضوع علّة وجود كما هو في عالم الطبيعة، والأمر سيان في عالم الشؤون البشرية فالحرية هي السبب الذي من أجله يتواجد البشر معا، وهي السبب الرئيسي لوجود السياسة[4]، ولفكّ التناقض الأوّل وإثبات موطن الحرية التّي تتحدّث عنها تلجأ أرندت إلى تخليص الحرية من الإرادة أوّلا، ذلك أن مشكلة الحرية حاسمة بالنسبة إلى السياسة، وليس بوسع أيّ نظرية سياسية أن تنفي هذه الحقيقة، التّي قادتنا إلى الطريق المعتم حيث ظلّت الفلسفة طريقها، والسبب حسب أرندت في هذه العتمة هو أنّ ظاهرة الحرية لا تظهر في عالم الفكر إطلاقا، إلاّ في الحوار الداخلي للنفس ،أو في مناقشة المسائل الفلسفية والميتافيزيقية، والنتيجة أنّ هذا الوضع حيث تكون فيه الحرية أو اللاّحرية غائبين جرى التشديد

---

[1] Hannah Arendt, Between Past and Future, The Vikung press, New York, p143.

[2] Ibid,p, 143.

[3] حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، تر: عبد الرحمان بشناق، دار نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1974،ص151.

[4] انظر حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، المصدر السابق، ص151.

عليه من طرف التقليد الفلسفي، ما شوّه في الحقيقة مفهوم الحرية وسحبه من مجاله الحقيقي الذّي هو مجال الحرية الأصلي، وتحويله في النهاية إلى الباطن وهو موطن الإرادة[1].

تبرّر حنّة أرندت هذا الموقف بالبحث عن الأصول الفلسفية لبداية طرح مشكلة الحرية أمام العقل التأملي، وتنتهي في النهاية إلى أنّ بداية المشكلة كانت بالفلسفة الدينية، مع بولس وأوغسطين، "إنّ الميدان الذي كانت الحرية دائما معروفة فيه، ليس كمشكلة بالتأكيد ولكن كحقيقة من حقائق الحياة اليومية، هو ميدان السياسة، وحتى اليوم سواء علمنا أم لا، مسألة السياسة وحقيقة أنّ الإنسان وهب موهبة الفعل، يجب أن تكون حاضرة في أذهاننا عندما نتحدّث عن مشكلة الحرية"[2].

تؤكّد أرندت على أنّ مجال الحرية الأصلي هو السياسة، وتربط ذلك بالإنسان هذا المخلوق الذي منح القدرة على الفعل، لكن ما جرى هو أنّ الحرية انسحبت إلى الباطن، إلى دواخل الإنسان لتكون تجربة فردية باطنية، تعبّر عن العلاقة بين الذات وذاتها، والسبب في ذلك هو اختفاء مجال الحرية، أو بالأحرى انكماش مجال السياسة، حيث لم يعد للإنسان القدرة على الفعل، "ولذلك فهو بطبيعته لا علاقة له بالناحية السياسية، ومهما يكن حظّه من الشرعية، ومهما أبدعت أواخر العصور القديمة في وصفه، فإنّه تاريخيا ظاهرة جاءت متأخرة. وكان في الأصل نتيجة نفور من الدنيا تحوّلت فيه الخبرة الدنيوية إلى خبرة داخل النفس الإنسانية"[3].

كيف تحوّل مفهوم الحرية من مجال السياسة إلى الخبرة الداخلية؟ هذا ما تدافع عنه حنّة أرندت بقوة إذ تجعل الإرادة منافية للحرية تماما كونها شيء داخلي يتعلّق بحالة الإنسان الداخلية، وخبرته الباطنية مع نفسه، حينما يكون في علاقة مع ملكاته الداخلية فيشعر بالحرية في إدارة كلّ ما يختلج في ذاته، وتنسب أرندت هذا المفهوم المشوّه للحرية إن صحّ التعبير إلى أواخر العصور القديمة مع إبكتاتوس الذّي عبرّ عن الحرية في كون المرء يفعل ما يشاء، بمعنى إرادته التامّة في السيطرة على أفعاله، وتوسّعت دائرة هذا المفهوم لمّا ضاق المجال السياسي أكثر وانسحب الإنسان من إدارة هذا المجال ليجد ملاذه الآمن داخله، في قراراته الداخلية، بحيث يكون بعيدا عن الدّنيا، وعن رؤية الآخرين حيث لا يستطيع أحد مشاركته فيما يعتريه، بمعنى أصبحت الحرية مجرّد شعور داخلي لا يربطه بالعالم الدنيوي أيّ شيء[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص152

[2] Ibid, p, 146.

[3] حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، المصدر السابق، ص154.

[4] انظر حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، المصدر نفسه، ص154،155.

تضيف أرندت أنّ الإقصاء الذي تعرضت له الحرية بمعناها الأصلي كان على يد رجال الدّين وأوّل من فعل ذلك كان أوغسطين أين ابتكرت طريقة لكون المرء حرّا مع أنّه عبد، أدّت إلى الفصل النهائي بين الحرية والسياسة، أمّا من ناحية المفهومات فقد صنعت هذا التشويه نهاية العصور القديمة في أواخر الإمبراطورية الرومانية[1]، ومهما يكن ما حدث من أحداث كانت سببا في حياد الحرية عن معناها الصحيح والذّي وجدت فيه بالأصل، تقول أرندت: "إذ أنّ الإرادة وحدها تستطيع أن تفرض الفعل[...] ويختلف هدف العمل ويتوقف على الظروف المتغيرة في هذه الدنيا، ومعرفة الهدف ليست مسألة تتعلّق بالحرية ولكنّها مسألة تفكير صحيح أو خاطئ"[2].

تتبع الإرادة ملكة حكم العقل حسب أرندت بمعنى الهدف الصحيح، ثم تأمر بتنفيذه، وليست سلطة فرض الفعل وتنفيذه مسألة حرية بل مسألة قوة أو ضعف، إنّ الفعل بقدر حريته ليس خاضعا لا للعقل ولا للحرية مع أنّه يحتاج كليهما للوصول إلى هدفه، لكنّه ينبثق من شيء خارج عنهما وهو المبدأ وهذا الأخير يرتبط بأشياء في الخارج لتلهمه، وعلى عكس العقل الذي يتقدم الفعل والإرادة التي تتسبّب في حدوثه، فالمبدأ لا يصبح واضحا إلا في صميم الفعل، وتظهر الحرية كلّما كانت المبادئ واضحة جليّة[3]. والسؤال الأهمّ كيف تتحقّق هذه الحرية؟

الإجابة عن السؤال كيف تتحقّق الحرية؟ مرتبط أشدّ الارتباط بسؤال ماهية الحرية عند أرندت؟ تقول أرندت في كلّ من نصّ "بين الماضي والمستقبل" ونصّ "ما السياسة؟" أنّ الحرية تساوي السياسة، والعكس صحيح، في حين تتحدّث في نصّها الثالث "في الثورة" أنّ الثورة تعني الحرية، فكيف نفهم هذا التداخل؟ تربط أرندت بين الحرية والسياسة في جلّ مؤلفاتها ذلك أنّها كما تقول:" في الواقع السبب الذي من أجله يعيش النّاس في أيّ نظام سياسي على الإطلاق. وبدونها لا معنى للحياة السياسية كحياة سياسية. إنّ السبب المبرّر هو الحرية ومحكّها هو الفعل"[4]، وقد تمّ التوضيح في الفقرة السابقة كيف ترتبط الحرية بالفعل، من خلال المبدأ الذي يتعارض مع العقل والإرادة، فالمبدأ هو الذي يلهم الفعل مرة تلوى الأخرى وهو لا ينتهي وظاهر للعيان، فقط ينتهي بانتهاء الفعل، ولا ترتبط شرعيته بالفرد ولا بالجماعة، تقول أرندت:" تظهر الحرية أو نقيضها في العالم كلّما أصبحت هذه المبادئ، أمرا واقعا عن طريق الفعل، وظهور

[1] انظر المصدر نفسه، ص156.

[2] المصدر نفسه ص160.

[3] انظر المصدر السابق ص161.

[4] المصدر نفسه، ص154.

الحرية، كاتضاح المبادئ، ويتطابق مع تحقيق الفعل. والنّاس أحرارا -وهذا يختلف عن حيازتهم لموهبة الحرية- إذ أنّ كونك حرّا لا يعني سوى أنّك تفعل"[1].

يضعنا هذا النصّ في مواجهة مع سؤال الفرق بين الحرية والتحرّر، وهو سؤال خاضت فيه أرندت في طريقها للوصول إلى مفهوم الحرية وتخليص من ثمّ هذه القيمة من كلّ ما يشوبها من تشويه، ومن كلّ معنى دخيل ألحق بها، ويكون التحرّر هو واحد من المفاهيم التّي ألحقت بمفهوم الحريّة خصوصا في العصر الحديث مع الثورات السياسية، أين ظهر الحديث عن التحرّر إلى جانب الحرية، فثورات القرن الثامن عشر كانت تعنى بالحرية والتحرّر معا.[2]

تجعل حنّة أرندت من التحرّر شرطا أساسيا للحرية ولكنّه لا يؤدي إليها بصفة آلية، ذلك أنّ الجانب الذي يحتويه التحرّر من الحرية ما هو إلاّ سلب، فلا تساوى النية في التحرّر مع الرغبة في الحرية[3]، وبما أنّ التحرر كما تقول ثمرته عدم وجود الكبح والقدرة على الحركة، هو شرط للحرية ، فكيف تكون حراّ، إذا لم تملك القدرة على الحركة والوصول إلى المكان، والرغبة في التحرّر من الاضطهاد، والرغبة في الحرية بصفتها الطريقة للحياة السياسية[4].

تكمن الصعوبة حسب أرندت في الفصل بين الحرية والتحرّر، كون الحريات التّي تحقّقت نتيجة التحرّر لا تمثّل كلّ الحريات، والسبب هو أنّ الذين طلبوا الحرية في الغالب لم يميّزوا بين هذين الأمرين، فرجال الثورات في القرن الثامن عشر وضعوا مفاتن الحرية في صلب التحرّر في حدّ ذاته، التحرّر من الطغيان ومن الاضطهاد[5]، لأنّ ثورات القرن الثامن عشر كلّها كانت ضدّ الطغيان والاستبداد في ظلّ حكومات ملكية.

وضّحت أرندت العلاقة أكثر بين الحرية والتحرّر، في نصّها "ما تعنيه الحرية والثورة حقيقة"، فالحريات التي تهتم بالحقوق المدنية هي نتائج للتحرّر، ولكنّها ليست بأيّ حال من الأحوال المحتوى الفعلي للحرية التي تعني جوهريا الولوج إلى الحياة العمومية والمشاركة في الشؤون العامة [6]، وقد برز هذا المفهوم من جديد للعلن إبّان ثورات القرن الثامن عشر، وتحرّر من كلّ اللواحق التي شوّهت معناه الحقيقي، ولأن كانت الحرية في القديم لا تخرج عن المجال السياسي، فإنّها في وقت من الأوقات من زمن الإمبراطورية الرومانية انحسر مفهومها من العام

---

[1] المصدر السابق، ص161.

[2] انظر حنة أرندت، في الثورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008،ص44

[3] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق ، ص39.

[4] انظر المصدر نفسه، ص44.

[5] انظر المصدر نفسه، ص44، 45.

[6] انظر حنة أرندت، ما تعنيه الثورة والحرية حقيقة، ترجمة: محمد معاذ شهبان، مؤمنون بلا حدود، 2018، ص07.

إلى الخاصّ، لتكون مجرّد شعور داخلي ملتصق بالإرادة، إلاّ أنّه في لحظة زمنية من القرن الثامن عشر، وبطريق من بعض الفلاسفة الذين تجاوزوا الحياة الاجتماعية وانعزلوا عنها، أدركوا بالفعل معنى الحرية الحقيقي والذي يكون في المجال العام، وبالتواجد معا، فكانت الحرية غاية ثورات القرن الثامن عشر[1].

المعنى المقصود للحرية، والذي أعيد بعثه في القرن الثامن عشر، هو مفهوم هيمن بعد ذلك على النقاشات السياسية، والذّي أدركه مفكروا ذلك القرن، إذ تعبّر أرندت عن ذلك المفهوم على لسان جون آدمز أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية بقولها: "أينما وجد الرجال أو النساء أو الأطفال، سواء كانوا كبارا في السنّ أو شبابا، أثرياء أو فقراء، من طبقة عليا أو سفلى... جاهلين أو متعلمين، فإنّ كل فرد يعتبر مدفوعا بقوة برغبته في أن يُرى ويُسمع، وأن يتم الحديث عنه، وأن يلقى استحسان الناس واحترامهم في إطار معرفته"[2].

فضيلة الحرية هي الرغبة وهي كذلك القوة التي تدفع الناس مهما كانت اختلافاتهم إلى الوجود معا، الرغبة في التفوّق على الآخرين، وأن يظهروا ويتميزوا، تلك هي فضيلة الحرية، وهي تختلف عن الطموح الذي هو أن تطمح للسلطة كوسيلة للتميّز، وهو وجهة الحكم المستبد، فالسلطة وسيلة وليست غاية، وعيب المستبد أنّه لا رغبة له في التفوّق بل يفتقر إلى أي نوع من الحماس، والذي يجد متعة في السيطرة عليه، وبالتالي فهو يعزل نفسه عن رفقة الآخرين[3]، فالاستبداد هو غياب الرفقة مع الآخرين، وانعدام الرغبة في التميّز والتفوّق، بل يميل إلى إلغاء الآخر والسيطرة عليه.

في مقابل ذلك تقول أرندت أنّ لبّ الحياة السياسية هو الوجود مع الآخرين، ذلك أنّ " الرغبة في التفوّق، هي التي تجعل النّاس يحبّون العالم ويستمتعون بصحبة أترابهم، كما أنّها هي التي تدفعهم إلى الخوض في الشأن العام"[4]، وحتّى تميّز أرندت بين الحرية الفلسفية، والحرية السياسية، تضع تعريفا خاصّا بالثانية، ومن ميزات هذا التعريف أنّ الحرية السياسية إنّما هي منتوج إنساني، خلقه وابتكره الإنسان، ليتسنّى له الاستمتاع برفقة أترابه، تقول أرندت: "الحرية العامة هي حقيقة دنيوية ملموسة خلقها النّاس حتّى يتسنى لهم الاستمتاع معا في العلن، وأن يُروا ويتم سماعهم، وأن يعُرفوا ويتذكرهم الآخرين"[5].

---

[1] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص170، 171.

[2] حنة أرندت، ما تعنيه الثورة والحرية حقيقة، المصدر السابق، ص09.

[3] انظر المصدر نفسه، ص09.

[4] حنة أرندت، في الثورة، المصدر نفسه، ص177.

[5] حنة أرندت، ما تعنيه الثورة والحرية حقيقة، المصدر نفسه، ص09.

يتّضح من تعريف أرندت أنّه حتّى تتحقّق هذه الحرية وتتجسّد لا يكفي وجود مجموعة من البشر معا، ما لم يكونوا مدفوعين بالرغبة في التفوّق، هذا الدافع يجعلهم يبحثون عن تجسيد لهذه الحرية فيقومون بصناعتها معا، وبالتالي يستوجب وجود المعية، والرفقة مع الآخرين، " ويتطلّب هذا النوع من الحرية المساواة، وهي ممكنة فقط بين الأقران"[1].

تقصد أرندت بالمساواة بين الأقران القدرة على الفعل والكلام، "فالفعل خاصية إنسانية[...]وهو يمارس بواسطة اللغة"[2]، فالمساواة تتطلب القدرة على الكلام، المساواة في الكلام وليس الحرمان منها، ومناقشة الشؤون السياسية في العلن، وثاني شرط لهذه الحرية هو الاختلاف، "إنّ حياة الكائنات البشرية وموتها ليسا مجرّد حدثين طبيعيين إنّهما يرتبطان بعالم يظهر فيه أفراد فريدون من نوعهم وغير قابلين للتعويض والتكرار"[3].

يبدو الجمع بين المساواة والاختلاف شيئا يدعو إلى التناقض، ولكن سرعان ما ستنجلي هذه الفكرة إذا عرفنا أنّ أرندت تؤكّد على الكثرة في التجمّعات السياسية، وهذه الكثرة تحمل من الاختلاف ما يمكنّها من إقامة مجال عام وبيت دائم للحرية، والاختلاف المقصود هنا هو اختلاف الرأي، وهذا أساس الممارسة السياسية، تقول أرندت:"لا يوجد أحد يستطيع أن يؤلّف رأيه من دون الاستفادة من مجموعة كبيرة من الآراء التي يحملها آخرون، فإنّ الحكم بواسطة رأي عام أمر يعرّض للخطر آراء القلّة التي تستطيع ألاّ تشارك فيه"[4].

الحكم برأي واحد ليس من أساسيات الحرية، بل الاحتكام إلى الآراء المختلفة هو ما يميّز الفعل السياسي عن غيره، وعليه فالحرية عند أرندت تتطلّب الوجود مع الآخرين أي الكثرة، وهذه الكثرة تتميّز بالمساواة والاختلاف، ولكن السؤال المطروح كيف تكتسب هذه المساواة؟

تجيب أرندت عن هذا السؤال، بأنّ المساواة تحقّق فقط إذا تجاوز الإنسان حالة الفقر، وتحرّر من الخوف، هذان الشرطان يجعلان منه بشرا قادرا على الكلام، لهذا قلنا من قبل أنّ الكلام أساس الفعل، تقول أرندت:"وبالرغم من أنّ رجال الثورات الأولى كانوا واعين تماما بأنّ التحرّر يجب أن يسبق الحرية، إلاّ أنّهم كانوا غير مدركين لحقيقة أنّ هذا التحرّر يتجاوز التحرّر السياسي من السلطة المطلقة والمستبدة، وبأنّ الإنعتاق إلى الحرية لا يعني فقط التحرّر من الفقر، بل من الحاجة أيضا"[5].

---

[1] حنة أرندت، ما تعنيه الثورة والحرية حقيقة، المصدر السابق، ص09.

[2] حنة أرندت، الوضع البشري، ترجمة: هادية العرقي، جداول ومؤمنون بلا حدود، ص44،45.

[3] المصدر نفسه، ص177.

[4] حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص311.

[5] حنة أرندت، ما تعنيه الثورة والحرية حقيقة، المصدر السابق، ص10.

نتوصّل إلى فكرة مفادها أنّه بما أنّ الحرية تحتاج إلى الكثرة فأين يمكن أن تمارس هذه الحرية؟ وما هي فضاءاتها؟

2-مفهوم المجال العام:

تقول حنة أرندت في كتابها "**في العنف**":" وإنّه لمن غير الواقعي، ومن غير العقلاني أن تتوقع من الناس، الذين لا يملكون أدنى تصوّر لما هو الشأن العامrespublica أن يتصرّفوا بشكل غير عنيف، أو أن يتحاججوا بصورة عقلانية بالنسبة إلى ما يخصّ مصالحهم"[1]، يبين هذا النّص أهمية حيازة الشعب لمفهوم المجال العام أو الشأن العام، وليس هذا فقط بل طريقة التعامل مع هذا المجال، وأخلاقياته إن صحّ التعبير، وعليه نحاول في هذا الجزء الوصول إلى مفهوم واضح للمجال العام، متوخين بذلك التحري عن العلاقة بين الحرية وهذا لمجال، فيما نناقش وسائله وآلياته.

يبدأ المجال العمومي من المجال الخاصّ، أي من البيت بمعنى وجوب امتلاك البيت، والحفاظ على الحياة الأسرية، التي تعني الضرورة، والتحرر من الضرورة هو بداية الحرية، يجب أن يكون البيت آمنا حتى يمكنه من إدراك المجال العام، ومن ثمّ المشاركة فيه[2]، إنّ التمييز واضح جدّا في كلام أرندت بين الخاصّ والعام، الخاصّ وهو الأسرة والذّي يكوّن المجتمع، وهذا له ارتباط بالاقتصاد، فكلّ ما يخصّ الضروريات لاستمرار الأسرة مرتبط بالاقتصاد، فكان مصطلح الاقتصاد السياسي كما تقول مصطلح غريب في العالم القديم، فالشكل السياسي يسمّى أمّة، وكلّ ما كان يتعلّق بالأسرة، والفرد والنوع، كان بالضرورة غير سياسي بل هو شأن عائلي ومنزلي[3].

لكي نفهم أكثر هذه القضية كان لابدّ من العودة إلى التاريخ، لمتابعة تاريخ انبثاق المدينة، والشأن العام وارتباطها بالأسرة، ففي اليونان القديمة كما تقول أرندت، ما منع المدينة من اقتحام حقول مواطنيها ليس احترام الملكية كما نعتقد، ولكن لأنّ امتلاك البيت شرط ضروري لولوج الشأن العام، تقول:" بل إنّه من دون امتلاك بيت، فإنّه لا يمكن للمرء أن يشارك في شؤون العالم لأنّه لا يملك مكانا فيه باعتباره خاصّا به"[4].

تتمثّل الخصائص المميّزة للمجال الخاص، أي المجال الأسري في أنّ البشر يعيشون معا تقودهم ضروریاتهم وحاجاتهم. القوة المسيّرة لهم هي الحياة نفسها، التي تحتاج إلى وجود

---

[1] حنة أرندت، في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، دار الساقي، ط2، بيروت، ص72.

[2] **انظر** حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر السابق، ص52.

[3] انظر حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر نفسه، ص50.

[4] حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر نفسه، ص51.

الآخرين لكي تحافظ على نفسها، وفي تمسكها بالحياة باعتبارها حياة النوع البشري، ولهذا كانت مهمة الرجل توفير الضروريات والمرأة مهمتها الحفاظ على استمرار النوع بالإنجاب، وهما مهمّتان خاضعتان للإرغامات الضرورية نفسها، "فالتجمّع الطبيعي للبيت كان يولد بالتالي من الضرورة، والضرورة كانت تحكم كلّ الأنشطة المتعلقة به"[1] .

فيما تكمن الخصائص المميّزة للمجال العام، أي مجال المدينة، ومجال الحرية، "وإذا وجدت علاقة بين المجالين فقد كان من الضروري أن تتحمّل العائلة ضروريات الحياة بمثابة شرط لحرية المدينة"[2]، ولا يمكن بأي شرط أن تكون الدولة وسيلة لحماية المجتمع فقط بحيث تكون الحرية في المجال الاجتماعي والقوة أو العنف بيد الحكومة[3]، والشيء البديهي بالنسبة للفلاسفة اليونان، هو أنّ الحرية كان مجالها السياسة، وأنّ الضرورة ظاهرة قبل-سياسية-، تتميّز المدينة عن الأسرة في أنّها لم تعرف إلاّ متساوين، فيما الأسرة هي مجال اللاّمساواة بالذات، فأن يكون المرء حرّا يجب أن ألاّ يكون خاضا للضرورة ولا لغيره، وألاّ يكون متسلّطا على ذاته، لقد كان يعني رفض التسلّط، وهذا الأمر غائب في مجال الأسرة فالأب هو المتسلّط والمتحكّم في زمام الأمور لأنّه وحده من يملك القدرة على الخروج من البيت والالتحاق بالمجال العمومي والمشاركة فيه، للوجود مع متساوين أمثاله كلّهم لهم القدرة نفسها، وبالتالي فإنّ وجود المساواة مرتبط بوجود لا متساوين، فالمساواة لا تعني العدالة كما يفهمها العصر الحديث وإنّما هي الحرية بالذات[4].

يعني لفظ العامّ بالنسبة لأرندت ظاهرتين مترابطتين ببعضهما البعض لكنّهما ليستا متماهيتين، فهو يعني أوّلا أنّ كلّ ما يظهر في المجال العمومي يمكن أن يرى ويسمع ويشاهد من قبل الآخرين، يمثّل الواقع بالنسبة إلينا، في مقابل الأفكار والمشاعر ومتع الحواس، التي تنتمي إلى عالم يشوبه الظلال، ما لم تحوّل وتنتزع من الفردية ومن المجال الخاصّ، وهذا المظهر هو مظهر أولي للمظهر العمومي، إنّ التجارب الخاصّة والقصص والروايات هي أكثر الأشياء التي تضاف إليه إضافات فنية، نأخذها إلى الخارج أي ندخلها دائرة تحقّق فيها قوتها، لم يكن بالإمكان الحصول عليها من قبل، بمعنى إنّ حضور الآخرين الذّين يرون ما نراه ويسمعون ما نسمع يؤكّد لنا واقعية العالم و واقعيتنا، وكلّ تأكيد على الحميمية الخاصّة، وتطويرها يعود سلبا على تأكيد واقعية العالم والبشر، ولكن هذا لا يعني أنّ العام يلغي الخاصّ فهناك أشياء من

---

[1] المصدر نفسه، ص52،51.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] انظر المصدر نفسه، ص52.

[4] انظر المصدر نفسه، ص55.

الحميمية ما يجعلها قابلة للظهور في العلن، ولا للتشارك مع الآخرين كتجربة الألم والحبّ فهما ذاتيتان بامتياز[1].

يشتمل المجال العام على ما تسمّيه أرندت، "فضاء الظهور" وهو أداة الكشف الذاتي، إذ يتيح لنا فرصة ليرانا الآخرون ويسمعوننا، ولهذا الفضاء تضمينات مؤسسية مهمّة-بتأكيده ضرورة الثقافة السياسية بالمعنى الواسع، وهو ما أشرنا إليه في بداية هذا البحث في أنّ المجال العام له أخلاقياته التي تميّزه تتمثل في الوعي والقدرة على المحاججة، فالمغزى الرئيس في الإشارة إلى تلك القدرات الإنسانية التي لا يمكن تحقيقها إلاّ في وجود الآخرين، خلافا للقدرات التي تتطلب مجالا خاصا، أي منطقة ألفة في حياتنا اليومية، إنّ حرمان البشر من إمكان الفعل والتحدّث معا في عالم مشترك يعني حبسهم في ذاتية تجربتهم الفردية التي لا تتوقف عن أن تكون فردية إذا تكرّرت التجربة عدة مرّات لكن من أين يأتي هذا المجال هل له وجود واقعي، أم مجرّد علاقات بين البشر؟

تجيب أرندت على هذا السؤال بقولها أن كلمة العمومي تعني أنّ العالم نفسه بما هو مشترك معنا، يتميّز عن المكانة التّي نمتلكها فيه بصفة فردية، غير أنّ هذا العالم ليس مماهيا للأرض أو الطبيعة بما هي إطار لحركة البشر وشرطا عاما للحياة. إنّه مرتبط بالإنتاجات البشرية، بأشياء صنعتها يد الإنسان، وبالمثل فإنّه مرتبط بالعلاقات التي توجد بين سكّان هذا العالم وصنعة يد الإنسان. أن نعيش معا في العالم يعني أساسا أنّ عالما من الأشياء يوجد بين من يشتركون فيه، مثلما توجد الطاولة بين من يجلسون حولها، إنّ العالم مثل كلّ ما هو مشترك بين اثنين، يربط البشر ويفرّقهم معا[2].

تعبّر أرندت في نصّها "في الثورة" عن ذلك الرابط البشري الذي يجعل النّاس يؤسسون ذلك المجال الذي ينشأ بينهم باللغة والكلام، وبداية هذا العالم تكون بالرغبة والتوق للامتياز، الرغبة ليس فقط في التساوي أو التشابه، بل في التفوّق، التّوق الذي سيكون إلى الأبد المحرك والمنبع الكبير للأفعال الإنسانية، بعد حفظ الذات[3]، كيف ذلك؟ تفسّر أرندت باحترافية مذهلة هذه الجدلية بين حفظ الذات والرغبة في إظهار القدرة البشرية، بقولها مأزق الفقراء بعد تأمين حياتهم وحفظ حاجاتهم الضرورية، أنّ حياتهم تصبح بلا نتيجة ولا معنى[4]، فالإنسان حيوان

[1] انظر حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر السابق، ص71، 72.

[2] انظر المصدر نفسه، ص73.

[3] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص95.

[4] المصدر نفسه، ص95.

اجتماعي قبل أن يكون سياسيا[1]، فإذا توفّر الجانب الاجتماعي عن طريق الأسرة وتأمين الحاجات الضرورية كما تطرّقنا إليه سالفا، يتطلعون إلى جانب آخر، وهم باقون على حالهم من الإقصاء من منار الميدان العام، حيث يمكن للإبداع أن يشعّ. أنّهم قابعون في ظلام أينما ذهبوا[2].

تشير هذه النّصوص إلى قضية مهّمة تماما في سياق البحث عن واقع السياسة اليوم، فهي ببساطة تسلّط الضوء على جزء يتمّ تجاهله تماما في الحديث عن حاجة المواطن داخل التنظيم السياسي هذه الحاجة التي لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال أن تكتمل مواطنته أو الأصحّ حيازة المواطنة لولاها، وهي قضية الظهور، مع الأقران، تعتبر أرندت أنّ أزمة الإنسان ليست الفقر وإنّما الجهل، في نصّ مقتبس عن جون آدمز -أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية-:"إنّ ضمير الرجل الفقير مرتاح ، إلاّ أنّه يشعر بالخزي. إنّه يشعر بنفسه خارج أنظار الآخرين، متخبّطا في الظلام. إنّ الجنس البشري لا يشعر بوجوده، إنّه يهيم على وجهه ويطوِّف وما من أحد يلتفت إليه"[3].

ما يصنع المجال العام عند حنة أرندت هو الرغبة في الظهور، وما يقضي عليه هو التجاهل فلا يكفي للبشر أن يعيشوا معا في مجتمع بل هم بحاجة إلى أكثر من هذا، فالإبداع يكون فقط حينما يوجد التقدير، والاهتمام، في حضور آخرين يقدّرون الفعل، تضيف أرندت:"إنّه سواء أكان وسط جمهور أم في كنيسة أم في سوق، فهو في عزلة مطبقة وكأنّه في حجرة مهجورة تحت السقف أو في قبو تحت الأرض. إنّه ليس المستهجن أو المستنكر أو الملام ما هو إلاّ المنبوذ الذي لا يُرى. أن يكون المرء موضع التجاهل التام لهو أمر لا يطاق"[4].

تتجلّى صعوبة فهم هذا الجانب من العلاقات بين البشر في صعوبة إنشائه، وفهمه وممارسته، كحاجة بشرية لبشر متواجدين معا، يعيشون معا، ويجعلون لوجودهم معا معنى، وقد ظهر هذا النمط من الممارسات، التي تظهر مدى وعي الشعوب حسب أرندت في أمريكا في القرن الثامن عشر، أين كانت الحرية تعني امتلاك قسط من الشأن العام، والفعاليات المرتبطة بهذا الشأن لا تشكّل عبئا، بل العكس تعطي الأشخاص الذين يقومون بتولي هذا الشأن شعورا بالسعادة، لا يمكن حيازته عند القيام بأيّ شيء آخر[5]، هذا هو بالضبط ما يقابل الشعور

---

[1] حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر السابق، ص53.

[2] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر نفسه، ص95.

[3] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص95.

[4] حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص95.

[5] انظر المصدر نفسه، ص165.

بالمجهولية والتخفي أنّ الإنسان غير مرئي للآخرين، وهذا كذلك هو معنى أن يكون البشر معا، في إطار ممارستهم لطبيعتهم السياسية تحقيقا لمقولة "الإنسان حيوان سياسي بالطبع".

إنّ الدافع الأساسي للقيام بمثل هذه الأفعال ليس المصلحة الشخصية أو العامّة، وليس الواجب، بل فقط مجرّد الاستمتاع بالمناقشات والمداولات وصنع القرارات، "أمّا الذّي يجمعهم فهو العالم واهتمام الجمهور بالحرية، والذي يستثيرهم هو التوق للتميّز وهو الملكة المشهودة في الإنسان"[1]، يختلف جدّا كل الاختلاف عن الرّغبة في الحرية من أجل الضرورة وأعباء الحياة، أو الرّغبة في الانعتاق من أصفاد الاستبداد السياسي، بل هو "الرغبة بالتفوّق، وهي التي تجعل النّاس يحبون العالم ويستمتعون بصحبة أترابهم، كما أنّها هي التي تدفعهم إلى الخوض في الشأن العام"[2]

الفعل يجمع البشر معا: تقدّم حنّة أرندت مفهوما مختلفا لوجود البشر معا، ولرغبتهم في الحرية وكيف تمارس هذه الحرية، الحديث عن هذا الموضوع عند أرندت لا يكتمل إلاّ إذا فهمنا ماذا تعني **بالفعل** action والذّي لا يتضّح مفهوم الحريةّ ولا الشأن العام إلاّ به، تتحدّث أرندت عن معنى الفعل بإسهاب في نصّها الوضع البشري، بالخصوص، وفي هذا الشأن تتطرّق الفيلسوفة إلى ثلاثة أنشطة بشرية، هي الأخرى جرى الخلط بينها على مرّ العصور في الفلسفة، والتّي جعلت مفهوم الحرية والمجال العام مبهما، وخصوصا وجود البشر معا، وإمكانية الحديث عن عالم مشترك يجمع المختلفين، تلك الكثرة الكاثرة من البشر، الذين يكوّنون مجتمعات، ماذا يوجد بعد تكوين المجتمع؟ لابدّ أنّه السؤال الأكثر حيرة بالنسبة لفيلسوفتنا، ولكي نفهم ونجيب عن هذا السؤال لابدّ من تسليط الضوء على هذا الجزء.

تقترح أرندت مصطلح *vita activa* لتميّز ثلاث أنشطة للإنسان، labor, work and action أي الكدح والعمل وأخيرا الفعل،تعتبر أساسية لأنّها تمثل الشرط الأساسي لحياة الإنسان على الأرض[3]، مرتبطة ببعضها أشدّ الارتباط وهذا الارتباط كما تعبّر عنه بقولها: "مرتبطة بشكل حميمي بالشرط الأكثر عمومية للوجود البشري، الحياة، والموت، ونسبة الولادات ونسبة الوفايات"[4]، حيث ترتبط هذه الأنشطة الثلاث بالإنسانية في كلّ أوضاعها، بالحفاظ على الحياة، ودوام أثر اليد الإنسانية، أي ضمان بقاء العالم للقادمين الجدد، تأكيدا من أرندت على أهمية

---

[1] المصدر نفسه،ص 165.

[2] المصدر نفسه، ص166.

[3] Hannah Arendt, The Human Condition, The university of Chicago, introduction by Margarit Canovan, Second Edition, 1998, p07.

[4] حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر نفسه، ص29.

وجود البشر معا وغاية هذا الوجود، "إنّ الكدح والعمل كما هو الشأن بالنسبة للفعل يتجذران كذلك في الولادات باعتبار أنّ لهما مهمّة تتمثّل في أن يهبا العالم من أجل من يتوقعونهم، ومن ينبغي أن يعتبروهم في الحسبان والحفاظ عليه، الموجة الثانية للقادمين الجدد الذين يولدون في العالم غرباء"[1].

تعتبر أرندت **الكدح**(Labor) أوّل نشاط للإنسان الذي يكدح من أجل الضرورة، في مواجهة مباشرة معها، وتعني بها الحاجات البيولوجية التي تحافظ على الحياة، وعلى بقاء عنصرها، ويعتمد هذا الجانب من الإنسان على الجسم، كونه من الأعمال الشاقة التي تتطلب جهدا جسديا، "إنّ الوضع البشري للكدح هو الحياة ذاتها"[2]، وبهذا المعنى فإنّ الغاية من وجود الكدح هي حفظ الحياة ليس للفرد فقط بل للنوع كذلك في العالم، وتعني أرندت بالحياة مجموع الشروط البيولوجية كالولادة والحياة وهذا النوع من الأنشطة يحتاج إلى جهد الجسد، نشاط الكدح لا يتطلّب حضور الآخرين، فالإنسان الكادح لا يكون إنسانا بل حيوانا كادحا[3].

يكتمل النشاط الأوّل بالثاني في ترتيب أرندت وهو **العمل**(Work) هو نشاط يطابق لا طبيعية الوجود البشري الذي لا يكون مغروسا في الفضاء والذّي لا يكون نسبة الوفيات فيه معوّضة بالعود الأبدي الدوري للنوع، إنّ العمل يعطي عالما اصطناعيا من الأشياء، عالما مختلفا بوضوح عن كلّ محيط طبيعي، وداخل حدوده تقطن كل واحدة من الحياة الفردية، بينما يكون هذا العالم متخصّصا للبقاء بعد فنائها ومتعاليا عنها جميعها، إنّ الشرط البشري للعمل هو الانتماء إلى العالم، وفي هذه الحالة، فالإنسان العامل، أو بالأحرى الصانع الذّي يشيّد العالم، لا يحتاج إلى حضور الآخرين معه، لأنّ مهمّته تكمن في الصّنع، والتشييد وهذه المهمّة فردية بامتياز، فهو يهيّئ الأرضية للقادمين الجدد إلى هذا العالم.[4]

يطابق العمل بالنسبة إلى أرندت **الفعل**(Action) هو النشاط الوحيد الذّي يضع البشر مباشرة في علاقة، دون وساطة الأشياء ولا وساطة المادة، ويطابق الوضع البشري للكثرة، وفي الواقع فإنّ البشر، لا الإنسان يعيشون على الأرض ويسكنون العالم. وإذا كانت لكلّ مظاهر الوضع البشري بشكل ما علاقة بالسياسة، فإنّ هذه الكثرة هي بالتحديد- لا الشرط الضروري فحسب، بل الشرط الذي لأجله-أي: شرط كلّ حياة سياسية[5]، ولهذا في التراث الروماني القديم

---

[1] المصدر نفسه، ص29.

[2] المصدر نفسه، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص44

[4] حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر السابق، ص27.

[5] المصدر نفسه، ص28،27.

تستعمل عبارات من قبيل "أن يعيش" و"أن يكون بين البشر"، أو كذلك "أن يموت" وأن "أن يكفّ عن أن يكون بين البشر"، كلّها تدلّ على ارتباط البشر بالسياسة[1]،كلام يدلّ على أنّ العيش معا مرتبط بفهم عميق لمعنى السياسة وأدواتها، وبالنسبة لأرندت، أوّل خطوة في صناعة هذا المجال بين البشر هو التمييز بين ما هو بيولوجي وما هو صناعة، وبين الوجود مع الآخرين الذّي يتطلّب الكثرة من البشر، متماثلون ولكن مختلفون لا أحد يشبه الآخر[2]، بمعنى هو القدرة على الانتقال من الفردية والعزلة الذاتية التي تفرضها ضرورة الحياة إلى القدرة على تشييد عالم بيني بين البشر ليس ماديا بالطبع، ولكنّه تلك العلاقة التي تنشأ باجتماع البشر معا، ويكون ذلك بواسطة الفعل وحده.

يرتبط الفعل ارتباطا حميميّا بالولادات الجديدة، وهذه البداية لا يمكن أن يكون لها معنى في هذا العالم إلاّ القادم الجديد الذي يملك القدرة على الفعل، وعلى تقديم الجديد، بمعنى القدرة على البداية، فإنّ عنصرا من الفعل، وبالتالي عنصر الولادة، يكون محايثا لكلّ الأنشطة البشرية. بالإضافة إلى ذلك فإنّ الفعل هو النشاط السياسي الحقّ[3]، وهذا هو المعنى الحقيقي لوجود البشر، قدرتهم على الفعل، على ولوج المجال العام، والذي في أساسه ليس سوى تلك الصلة بين البشر، حيث لا حدود ولا عوائق، في التواصل الذّي عماده الأساسي هو الكلام، تأكيدا من أرندت على أنّ البشر يتواصلون بما خصّوا به وهو صفة النطق، وإذا غابت هذه الصفة انتفى التواصل وتدمّر هذا العالم الجديد، الذي يمنح بداية جديدة كلّ مرة من طرف القادمين الجدد[4]، ولهذا العيش معا يتطلّب فعلا سياسيا حقيقيا، يمارس بواسطة اللغة ولا يشترك في العنف، "والتي كانت تعني بصفة أكثر أهمية أنّ الكلمات الصائبة التي ابتكِرت في اللحظة المناسبة، هي من الفعل مهما كان الإعلام الذّي تستطيع إبلاغه. إنّ العنف الفظّ وحده هو أبكم، ولهذا السبب فإنّه وحده لا يستطيع أن يكون كبيرا"[5].

إنّ المعنى الأساسي للعيش معا هو القدرة على الاجتماع معا، وهي مهمة المجال العمومي بما هو العالم المشترك، يجمعنا ولكنّه يمنعنا كذلك من السقوط أحدنا على الآخر مثلما يقال، وما يفرّق البشر ليس الوفرة وكثرة النّاس إنّما المسألة أنّ العالم الذّي يوجد بينهم قد فقد قدرته

[1] انظر المصدر نفسه، ص28.

[2] انظر المصدر نفسه، ص28.

[3] انظر حنة أرندت، الوضع البشري، المصدر السابق، ص29.

[4] انظر المصدر نفسه، ص46.

[5] انظر المصدر نفسه، ص47.

على جمعهم معا، وعلى الربط بينهم وعلى الفصل بينهم[1]، وذلك كلّه راجع إلى الخلط في مفاهيم الحرية، واختفاء الفعل من حياة البشر وطغيان العمل والكدح، وانتشار مجتمع الاستهلاك، كلّ هذا ساهم في تعذّر الرؤية، رؤية الواحد للآخر رؤية حقيقية دون حواجز، كرؤية الواحد لنفسه تماما تلك هي الصورة الحقيقية للعيش معا، ولنمط التواجد في تنظيم سياسي يتجاوز بكثير نمط العيش في مجتمع تجمع بين أفراده فقط المصلحة الاقتصادية.

خاتمة:

يمكننا أن نصل في نهاية هذا البحث إلى أنّ التّشويه الذّي طال مفهوم الحرية من طرف التفكير الفلسفي كان السبب الأوّل في نقل هذا المفهوم من مجاله الحقيقي الذّي هو السياسة، والمجال العام إلى مجال النّفس البشرية ليصبح مجرّد شعور لا غير يرتبط بالإرادة، إرادة الشخص على نفسه وعلى أفعاله، هذا الخلط والتشويه ساهم بشكل كبير حسب أرندت في حجب المجال العام واختفائه من مجال السياسة، وبذلك يكون الإنسان قد ضيّع على نفسه فرصة للتواجد مع الآخرين وإمكانية رؤية الآخرين، في مجال مفتوح للفعل الذّي يبقى خالدا من خلال الذاكرة ومن خلال الآخر، من "خلال الظهور العلني أمام النّاس لكي يتجلّى الإبداع ويشعّ"[2]، إنّ كلمة حرية تختلف تماما عن الاستخدام العادي لها من كونها تعني حرية الفكر أو الإرادة الحرة، وليست كذلك حيّزا باطنيا يلجأ إليه النّاس فرارا من ضغوط الدّنيا، ولا هي تلك الحرية التي تجعلني أختار بين البدائل المتعددة. توجد الحرية فقط في العلن، إنّها واقع دنيوي ملموس، شيء خلقه البشر ليستمتعوا به ليس هبة ولا قدرة، إنّها المجال العام والسوق العمومية التي كانت معروفة من قبل القدماء التّي تظهر من خلالها الحرية وتغدو مرئية للجميع[3].

حتى وإن كانت فكرة أرندت عن الحرية تبدو يوتوبية إلى أبعد حدّ عن تفكير المجتمع المعاصر الذّي قيّدته أغلال العمل وطغى عليه واقع الاستهلاك المفرط، إلاّ أنّها تبقى الأمل الذّي يربط الإنسان ببشريته المفقودة، وإن كانت حنّة أرندت تتمسّك بالكنز المفقود وتأمل في العثور عليه مع جيل قادم، يبقى الأمل قائما مادام البشر يولدون ، فهي من جهة تبدو غير مؤمنة تماما بهكذا أمل خصوصا في اقتراحها الذّي وضعته في نصّها "**في العنف**" للتحرّر من عبء الفقر والعودة إلى المجال العام، برأيها أنّ التقنية تحلّ الموضوع، ولكنّه حلّ ضعيف فالتقنية نفسها

---

[1] انظر المصدر نفسه، ص73، 74.

[2] انظر حنة أرندت، في الثورة، المصدر السابق، ص96.

[3] انظر المصدر نفسه، ص172.

زادت من عبودية الإنسان للحاجة، وما يظهر ارتباك أرندت في اقتراحها هذا، هو عدم إسهابها في الموضوع.

يمنح الظهور للبشر فرصة للالتقاء معا في فضاء بيني من صنع أيديهم يعبّر عن وعي تامّ ببشريتهم التّي لا تكتمل إلاّ بوجودهم معا، وهذا الحيّز الذّي نسعى إليه من خلال هذا البحث يتحقّق فقط بإدراك تامّ لمفهوم الحرية والكفّ عن الصّراع من أجل حرية الفكر وحرية الإرادة التّي لم تخلق إلاّ أزمة مضاعفة من التنافر بين البشر بدل التقريب بينهم، إنّ محاولة تفسير التصرّفات والأفكار محاولة فاشلة تزيد من حجم الهوة بين البشر، وعلى قدر المناداة بالاختلاف في التفكير ونمط العيش والسّلوك، بوصفها حرية، بالقدر ذاته نحدّ من الحرية بإجبار الغير على الاعتراف قسرا وليس تقبّلا، لكن لو أرجعت الحرية إلى مكانها الطبيعي في المجال المفتوح بإمكان البشرية تجاوز هذه الصعوبات وتحقيق العيش معا ورؤية الواحد للآخر وتخليد الأفراد المتميّزين عن طريق سرد قصصهم، هذه الطريقة تمنح الاعتراف بوجود الآخر وتميّزه، ففي المجال العام يكون كلّ واحد مكشوف للآخر، ممّا يعني التقدير الذّي كان مفقودا من قبل، يظهر للآخرين ويكون الإنسان قادرا على إظهار نفسه دون خوف من الخطأ والإخفاق.

إنّ ما يجعل المجال العام مجالا خصبا للتواجد معا هو التأكيد على فكرة التعدّد فيه، وهذا التعدّد اختلاف صارخ، وما يمكن أن يجمع بين هؤلاء المختلفين كليّا هو الحرية التّي بموجبها تمنح لكلّ واحد منهم القدرة على الفعل والكلام، وفي الكلام يمكن التعبير عن الأنا الباطن ويظهر الإنسان للآخرين كما يظهر لنفسه، في حين الفعل يجعله موجودا يمنحه الخلود إن صحّ التعبير، ولكن ما الذّي يحمي هذه الجماعة من المبادرات المفاجئة والخاطئة، والأفعال المتهوّرة؟، ليس هناك جواب واضح يبرّر هذا الكلام من قبل أرندت سوى الثقة العمياء في قدرة البشر على خلق أفعال جيّدة.

يمكننا الجزم قائلين أنّ مشكلة العيش معا بعيدا عن هموم البيت الصغير، والصراعات الاجتماعية حول إفتكاك الحرية الفردية، يمكن تجاوزها بإدراك واضح تمام الوضوح لمفهوم الحرية، فنمط العش معا الذّي يعزّز التعددية والاحترام المتبادل يرسو عند المجال العام.